من سمات الفصاحة والبلاغة النبويةﷺ

واصف الله جان *

إن البحوث والدراسات في مجال بلاغة القرآن تتوفر إلى حدٍ كبير جداً في حين أن البحوث والدراسات حول البلاغة النبوية تقل عن ذلك نسبياً. فعلى الرغم من أن مرتبة البلاغة النبوية دون مرتبة البلاغة القرآنية، إلّا أن بلاغة النبيﷺ لا تقل أهميتها عن بلاغة كتاب الله. تحتل البلاغة النبوية الذروة العليا من البيان في الأدب العربي(١). والسبب في ذلك يمكن أن يرجع إلى أن تقديم تفسير الآيات القرآنية أمام المجتمع البشري والجنى يتوقف على بلاغة النبيﷺ برمتها. ولو لم يكن كذلك، إلّا ما كان ورد عن النبيﷺ في مجال احتلاله بمكانة أفصح العرب، لكان ذلك من أجل البراهين وأقوى الحجج لعلوّ منزلته على البلاغة الإنسانية من جهة. ولكان ذلك سبباً كافياً لإجراء البحوث عنها من جهة أخرى. و انصراف جهد كثير من الدارسين إلى البحث في بلاغة القرآن الكريم وأشعار العرب، لذا عقدت العزم على أن يكون البحث امتدادا لتلك الثلة التي آثرت البحث في الحديث النبوي وإظهار أسرار بيانه وخصائص تراكيبه، ومحاسن بديعه.

كان العالم قبل ولادة النبيﷺ يموج في ظلمات من الفوضى والجهل والتأخر والانحطاط الخلقى والعقلى، حتى أذن الله تعالى لهذه الظلمات أن تنقشع، فكان ولادةﷺ فجراً جديداً للبشرية من ناحية والبلاغة العربية من ناحية أخرى. فقد ولدﷺ يتيم الأب فلما علم جده عبد المطلب فاض قلبه سروراً وسماه محمداً، ثم أتت المراضع من البادية فأخذته حليمة السعدية فأقام سنتين في الصحراء ترضعه حليمة، وتحضنه ابنتها الشيماء، ويجد هوﷺ هواء الصحراء وخشونة البادية، ما يسرع به إلى النموء ويزيد في وسامة خلقه وحسن تكوينه، فلما أتمّ سنتين وآن فصاله رجعته حليمة إلى امه، لكنه خوفا عليه من وباء مكة عاد مع حليمة ليبقى في ديار بني سعد بن بكر سنتين أخريين يمرح في جوّ باديتها الصحو الطلق لا يعرف قيداً من قيود الروح ولا قيداً من قيود المادة. ونمضى مع الزمن في سيره، حتى يبلغ أشده ويزيد على الأربعين فيختاره الله رحمة للعالمين(٢): يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرً (٣) ويتنزل عليه القرآن الكريم وحيا من السماء تعنوا لفصاحته الأعناق، ويسجد لبلاغته البلغاء معجزة خالدة بنمط من البلاغة فريدة، فما قاموا له بل لقد بلغ من ثقة القرآن أن حكم عليهم بالعجز عن معارضته: قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٤)، ومن المعروف الجلي أن التبليغ والإفهام وتمكين المعنى في نفس المتلقي من الغايات الجوهرية للقول البليغ، ولعل تعريف أبي هلال العسكري للبلاغة بأنها: كل ما تبلّغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن يرمي إلى هذه الغاية ويؤسس لها(٥). ويؤيده حديث النبوي حيث أكّد رسول اللهﷺ على نزول الوحي الثاني عليه على شاكلة قوله: ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه(٦). بيد أن الفرق بين بلاغة الوحى الأوّل يعني القرآن وبلاغة الوحى الثاني يعني الحديث أن الأوّل معجز يتحدى به الجن والإنس وأما الثاني فهو بيانٌ له.

* الباحث الدكتوراة ، القسم اللغة العربية، جامعة بشاور ، باكستان.

وإذا ما وضعنا القرآن جانباً، فإنا لانشك في أن حديث رسول اللهﷺ، يعتبر ذروة ما انتهى إليه كلام العرب بلاغة وروعة وإشراقاً، خلا من التكلف المسجوع والحوشي الثقيل، وهما آفة الكلام العربي في عصره تنزه عن الاختصار مع الحاجة، والتطويل بدون طائل، وقلما سلّم هذا الميزان باستقامة لغيره(٧).فقد قال أوس بن حبيب الضبي العالم بالأدب وإمام نحاة البصرة في عصره: '' ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول اللهﷺ(٨).

ولما كانت معجزة القرآن معجزة بيانية في المقام الأول، وقد بعث في أمة بليغة، صناعتها حياكة القول والتفنن فيه لا عجب أن يحتاج إلى التأثير وشدة الأخذ، ودعوة العرب إلى الدين وتأديبهم بأدبه، ودفعهم لمحاربة أعدائه، فكان من الله أن أيده بمعجزة أخرى هي بلاغة لسانه، وقوة بيانه، فكان على غيره ما يعهد العرب في فصحائهم ومناطقهم لا عجب أن يؤخذوا بحديثه الجامع، وبيانه الساحر وبلاغته المتدفقة، وفصاحته المتمكنة، وتلك حقيقة يقررها النبيﷺ اعترافاً بنعمة الله ''أنا أفصح العرب بيد أني من قريش(٩) وفي رواية أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش(١٠). كان الرسولﷺ يتكلم بكلام بيّن واضح، لو أراد مستمعه أن يعيده لأمكن ذلك، فتقول عائشة: إن رسول اللهﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم(١١) ولكنه كان يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه(١٢) والسرد معناه: متابعة الكلام على الولاء والاستعجال به، وقد يراد به أيضاً جودة سياق الحديث، وعن عائشة أيضًا قالت: كان كلام رسول اللهﷺ كلامًا فصلًا يفهم كل من سمعه(١٣) وفي رواية عنها قالت: كان رسول اللهﷺ يحدث حديثًا لو عدّه العادّ لأحصاه(١٤). وعن أم معبد قالت: كان رسول اللهﷺ إذا صمت فعليه الوقار، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، حلو المنطق لانزر ولا هذر(١٥). وعن ابن عباس قال: كان رسول اللهﷺ إذا تكلم رئى كالنور من ثناياه(١٦) وعلى الرغم من فصاحة أسلوبه وبلاغة كلامه قد يكرر الرسولﷺ كلامه ثلاثاً، روي عن أنس بن مالك قال: ''كان رسول اللهﷺ يعيد الكلمة ثلاثًا لتعقل عنه(١٧).

وعن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً قلت: صف لي منطق رسول اللهﷺ قال: كان رسول اللهﷺ متواصل الاحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم ،كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة، وإن دقت لا يذم منها شيئا غير انه لم يكن يذم ذواقا، ولا يمدحه، ولاتغضبه الدنيا، ولا ما كان لها، فإذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيءٌ حتى ينتصر له، و لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا اتصل بها ضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى. وإذا غضب أعرض، وأشاح، واذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم يفتر عن مثل حب الغمام(١٨).

وكانﷺ يتجنب جميع أسباب الغموض من التقعر في الكلام، والإغراب في الحديث، وفي طريقته في إفهام سامعيه، وهذه سمة بارزة في كل كلامه وبيانه. وكان رسول اللهﷺ يعطي الكلام ما يستحق من اللهجة حتى إن ما يختلج في صدره كان يبدو على وجهه، ووصفه جابر : كان إذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، كأنه منذر جيش يقول: صبّحكم ومسّاكم(١٩). وكان لحركته وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء، فحركته معبرة تستلفت النظر وتنبّه الغافل وتعين على الحفظ والتذكر، فإذا أراد ذكر القلب مثلًا أشار إلى صدره كما في قولهﷺ: التقوى ههنا(٢٠) وإذا أراد الملازمة أشار بسبابته والتي تليها، كما في قولهﷺ: ''أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ''وأشار بالسبابة والوسطى(٢١). اختار الرسولﷺ كل هذه الإشارات والحركات لتوضيح فكره وتكميل

غرضه.

قال الأستاذ عباس محمود العقاد: إن السمة الغالبة على أسلوب النبيﷺ في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الإبلاغ قبل كل سمة أخرى، بل هى السمة الجامعة التى لا سمة غيرها. لأنها أصل شاملٌ لما تفرق من سمات هى منها بمثابة الفروع. وكلام النبيﷺ المحفوظ بين أيدينا إما معاهدات ورسائل وإما خطب وأدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة كتبت بعد حينها وروعيت الدقة في المضاهاة بين رواياتها جهد المستطاع. والإبلاغ هو السمة المشتركة في أفانين هذا الكلام جميعًا، حتى ما جرى منه القصص أو مجرى الأوامر الى المرؤوسين أو مجرى الدعاء الذي يلقنه المسلم ليدعو الله على مثاله(٢٢).

كان الرسولﷺ يستخدم اللغة كما يشاء فقد امتلك ناصية اللغة امتلاكًا تامًا، وكان أقدر العرب وصفًا وبيانًا وفصاحة وبلاغة، وكان يختار للتعبير أفضل الألفاظ والعبارات ويخاطب كل قبيلةٍ بلسانها وأسلوبها ولهجتها ويحاورها بلغتها على اختلاف لغات العرب. فقد روي عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول اللهﷺ أفصح الناس، كان يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم(٢٣). وروي عن على قال: ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلّا وقد سمعتها من رسول اللهﷺ. وعن عبد الله بن عتيك قال سمعت رسول اللهﷺ يقول من خرج من بيته مهاجرا في سبيل الله عز وجل ثم قال بأصابعه هؤلاء الثلاث الوسطى والسبابة والابهام فجمعهن وقال واين المجاهدون فخر عن دابته فمات فقد وقع اجره على الله أو مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله عز وجل والله انها لكلمة ما سمعتها من احد من العرب قبل رسول اللهﷺ فمات فقد وقع اجره على الله ومن قتل فقضى فقد استوجب المآب (٢٤). ويقول عطية السعدي: ''قدمت على رسول اللهﷺ فلما رآني قال: ما أغناك الله، فلا تسأل الناس فإن اليد العليا خيرٌ هي المنطية وَالْيَدِ السفلى هي المنطاة فان مال الله مسؤل ومنطي قال: فكلمنا رسول اللهﷺ بلغتنا(٢٥).

وقولهﷺ لكعب بن عاصم الأشعري: ليس من امبر ام صيام ام في السفر(٢٦) وهذه لغة صحيحة وأكثر ما تكلم به الأشعريون وهي في الغالب يمنية والأشعريون من اليمن. وإنما تكلم به رسول اللهﷺ رغبة في البيان وحسن التعليم والإفهام لهم بلغتهم. وهذه الظاهرة نراها واضحة كل الوضوح في الرسائل التي أرسلها الرسولﷺ إلى القبائل النائية في الجزيرة ممن لا ينطقون بلغة قريش، فمثلًا لما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخم اللفظ لما عرف من فضل قوّتهم على فهمه وعادتهم لسماع مثله، كتب لوائل بن حجر الكندي: إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب من حضرموت بإقام الصلاة المفروضة، وأداء الزكاة المعلومة عند محلها. على التيعة شاة، لا مقورّة الألياط، ولا ضناك. وأنطوا الثبجة. وفي السيوب الخمس. ومن زنا مم بكرا فاصعقوه مائة، واستوفضوه عاماً، ومن زنا مم ثيب فضرّجوه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام وائل بن حجر يترفّل على الأقيال(٢٧).

كان رسول اللهﷺ أوجز الناس كلامًا، كان يتكلم بالكلام القليل يجمع فيه المعاني الكثيرة. ولقد كانﷺ مثالاً في كلامه ودعائه إلى المعاني الواسعة العميقة التي تصاغ في ألفاظ قليلة يسيرة فقد أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: كان أكثر دعاء النبيﷺ: اللهم ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار(٢٨). وفي راوية عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال: فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم

ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون(٢٩). والمراد من الإيجاز: إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ. وقال الطيبي: الإيجاز الكلام في إشباع من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيراً من المعاني وأنواعًا من الكلام(٣٠). وعن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول اللهﷺ يقول بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي قال أبو عبد الله وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك(٣١). وكان عليه الصلاة والسلام يكره الثرثرة وفضول الكلام ومن ذلك قولهﷺ: ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم منّي مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون(٣٢)، ألا أخبركم بأبغضكم إليّ وأبعدكم منّي مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون (٣٣)، وإن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم(٣٤). وقولهﷺ: (إن الله عزّوجلّ يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها(٣٥) ويذكر أن أعرابياً تحدث عند رسول اللهﷺ وأكثر الكلام، فقال عليه الصلاة والسلام: كم دون لسانك من حجاب؟ فقال: شفتاي وأسناني، فقال له: إن الله يكره الانبعاق في الكلام، فنضّر وجه امرىءٍ أوجز في كلامه واقتصر على حاجته(٣٦)، والانبعاق هو الاندفاع في الكلام بشدة والإكثار منه. والإكثار والإسهاب والتطويل قد ينم على التكلف والتعمّل والتنطع وهوﷺ أبعد الناس عن التكلف والتعمّل والتنطع. قال تعالى: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٣٧)، وقالﷺ: هلك المتنطعون أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم(٣٨). وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: اقتتلت امرأتان من هزيل، فرمت احداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى الرسولﷺ، فقضى رسول اللهﷺ أن دية جنينها غُرّةٌ عبد أو وليدة، فقال حمل بن مالك بن النابغة الهزلي (يا رسول الله، أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، مثل ذلك يطلّ) فقال رسول اللهﷺ: ''هذا من إخوان الكهان''(٣٩)، وليس في هذا الحديث تحريم للسجع كما ذهب بعضهم، فإن في السجع المقبول المعتدل تحسينا وتجبيراً للكلام، ولكنه نهى عن التكلف، وتقليد كهان الجاهلية الذين يصنعون السجع صناعة. والدليل على ذلك أن هنالك ضروبا من ضروب التقفية لجأ إليها الرسولﷺ تزيينا للكلام، ومحاولة لخلق نوع من التأثير البلاغي في السامعين. روى أنس بن مالك وسهل بن سعد أن الرسولﷺ قال: (اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة، فقالوا مجيبين:

نحن الذين بايعنا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا(٤٠)

وروى البراء بن عازب عن الرسولﷺ أنه قال:(أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب(٤١)، وروى المغيرة بن شعبة عن الرسولﷺ أنه قال: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال(٤٢). وهذا وأشباهه قصد لتزيين الكلام، وتيسير حفظه ولكنه من التكلف المقيت بمعزل. وما كان رسول اللهﷺ ليأمر أصحابه بالإيجاز وعدم التكلف ثم يأتي من هذا شيئا، وهو الناصح الأمين الذي لا يخالفهم لما ينهاهم عنه. ولقد سمع أصحابه الميامين نصيحته وعملوا بها، واجتهدوا غاية الاجتهاد في الاقتداء بهديه وأتباع سبيله. وقيل لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: "أدع لنا فقال لهم، اللهم ارزقنا وارحمنا قالوا: لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن"، قال: أعوذ بالله من الإسهاب(٤٣). والإكثار والإسهاب والتطويل قد

تنم على قلة الاكتراث بالكلمة، وقد يدل على عدم المبالاة بالقول، ولقد كانﷺ أشد الناس إحساساً بقيمة الكلمة فكان يزن الكلام وزنا وهو المدرب على الشعور بالمسئولية، والقيام بها وهو الذي يعلم أن العين تزني وزناها النظر، وأن اللسان يزني وزناه النطق، وهو الذي يعلم أن الإنسان مسئول عن ألفاظه وكلماته؛ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(٤٤)، وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم(٤٥)، وإن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين منها يزلّ بها في النار أبعد من المشرق والمغرب(٤٦). وكان يوصي بالإيجاز في الكلام ويرغب فيه، ومن ذلك قوله لجرير بن عبد الله البجلي: (ياجرير إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف(٤٧)، ومن هنا فقد غلب على كلامه الإيجاز، وإذا كان الإيجاز أصلاً في بلاغات اللغات فإنه في البلاغة العربية أصل وروح وطبع. وقد بيّن الأستاذ أحمد حسن الزيات سبب شيوع الإيجاز في أسلوب النبيﷺ قائلاً: (لأن الإيجاز قوة في التعبير وامتلاء في اللفظ وشدة في التماسك، وهذه صفات تلازم قوة العقل وقوة الروح وقوة الشعور وقوة الذهن، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسولﷺ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه حتى عدّت من خصائصه(٤٨).

كان النبيﷺ يبدأ الحديث بأسلوب مشوق يثير الانتباه ويعد السامع إلى استماع الكلام ويوقظ وعي الإنسان، فعن معاذ بن جبل قال: بينا أنا رديف رسول اللهﷺ ليس بيني وبينه الآ آخرة الرحل، فقال: يا معاذ! قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثمّ قال: يا معاذ! قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده! قلت: الله ورسوله أعلم! قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثمّ سار ساعة ثمّ قال يا معاذ بن جبل! قلت لبيك رسول الله وسعديك: قال هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت الله ورسوله اعلم، قال حق العباد على الله أن لا يعذبهم(٤٩). كان النبي حريصاً أشد الحرص على تعليم أمته ما يعود إليها من مسؤليات دينها وشريعتها، ثم ما لها من أجر وثواب عند الله سبحانه وتعالى إذا كانت هي قد أدتها حق أدائها، فكان رسول اللهﷺ يستخدم لذلك الأساليب مشوقة تعد السامع إليه من الكلام للإصغاء إليه لكي يكون أوقع في النفس وأشد أثراً وتأثيراً في القلب(٥٠).

مراعاة التسلسل المنطقى للفكرة

كان الرسولﷺ يراعي التسلسل المنطقي للفكرة، وترتيب المعاني بعضها على بعض، والانتقال من المقدمة إلى النتيجة، والعنصر المترتب على عنصر سابق، والجزئية في الموضوع تسلم إلى جزئية أخرى في تتابع وتدرج منطقي مقنع، وفي أسلوب يتلقاه السامع بالرضا والقبول، إن المتأمل في الكلام النبويﷺ يجد تلاؤم أجزاء الموضوع والانسجام التام بين مكونات النص البياني، والتساوق المحكم بين مفردات النص ومحتواه. كما جاء في الحديث ’’ أن فتى من قريش أتى النبيﷺ فقال: يا رسول الله: ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم فزجروه، فقالوا: مه مه، فقال e: ادنه، فدنا منه قريبًا، فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلنى الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله: يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبون لبناتهم، ثم ذكر له رسول اللهﷺ أخته وعمته وخالته، وفي ذلك يقول الفتى مقالته: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهُمّ اغفر ذنبه وطهّر قلبه وحصّن فرجه(٥١).

المنطق الوجداني

ومن الأمثله على استخدام المنطق الوجداني في كلام الرسولﷺ ما ورد عن النواس بن سمعان قال: سألت رسول اللهﷺ عن البر والاثم، قال: البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس. ومثل ذلك ما ورد عن وابصة بن معبد قال: أتيت رسول اللهﷺ فقال: جئت تسأل عن البر؟ قلت نعم، قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس(٥٢).

التوازن في الفكر والعاطفة

إن الرسولﷺ كان متوازناً في الفكر والعاطفة، والموسيقى اللغوية ظاهرة شائعة في أسلوب النبيﷺ. يقول الرسولﷺ: من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والأخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه(٥٣)" ما أروع هذا الحديث، وما أرق موسيقاه الداخلية، وما أشد التلاحم بين أجزائه، إنك حين تقرأه تشعر أنك تطوف في رياض نضرة مزينة بالورود، وأنت تسير في رحابها في هدوء وسكينة، فمعاني هذا الحديث يضيق المقام عن بسطها وتفصيلها، وألفاظه عليها مسحة من الرقة والتناغم والتلاحم فيما بينها.

مصطفى صادق الرافعى وفصاحة الرسولﷺ

وكما يقول الرافعي كتبت على الفصحاء فما يكاد يسلم منها أحد، ذلك أنهم يؤتون من جهة النفس في ضعفها أو اضطرابها، أو غفلتها، أو ما أشبه ذلك من حال تعتري، وعرق ينزع، وهي خصال لا تكون لأنفس الأنبياء صلوات الله عليهم(٥٤). تكاثرت الأخبار الصحيحة التي تكشف نهج النبيﷺ وموقفه من البيان، فكان يكره التكلف في كل شيء وبخاصة التكلف في الكلام فقال: هلك المتنطعون(٥٥) والتنطع في الكلام: التعمق فيه، والتفاصح. وقال: أمرت أن أتجوز في القول فإن الجواز هو خير(٥٦)، كما عرف عنه إنكاره على من يتكلفون السجع في الكلام، أما كلامهﷺ فهو الطبع الخالص لا يتكلف القول، ولا يعمد إلى تزيينه بل هو عفو البديهة، ووحي الفطرة ولسان الطبيعة، اتفق على ذلك من كتب في الأدب العربي، ونظر في الحديث النبوي، فلا حرج علينا أن نسمي هذا منهج النبي البلاغي أو مذهبه البياني(٥٧) ومن هنا فقد كان يقدس الكلمة ويدعو إلى صدقها وصوابها، سئل، ما الجمال؟ فقال: في اللسان(٥٨)، وقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا، أو ليصمت(٥٩)، بل كان ينفر من بعض الكلمات التي لا توائم الذوق الفطري، قال لصحابته: لا تقولوا: دع، دع، ولا لع لع، ولكن قولوا: اللهم ارفع وانفع(٦٠) وقال: لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقصت نفسي كأنه كره أن يضيف المؤمن الطاهر إلى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه، كما كره للمسلم أن يقول: كسلت، لأن المنافقين وصفوا بالكسل في القرآن الكريم(٦١).

عباس محمود العقاد وفصاحة الرسولﷺ

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد: كان محمدﷺ فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، كان فصيحاً مبلغاً على أسس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين(٦٢). فكلامه على جهة الصناعة

اللغوية والبيانية مسدد اللفظ محكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فحم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه وضريبه في التأليف والتنسيق، ثم لا ترى فيه خرماً مضطرباً ولا لفظة مستدعاة لمعناها، أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها أداءً للمعنى وتأتياً لسره في الاستعمال، وهذا نراه في الصناعة اللغوية، أما من ناحية الصناعة البيانية حسن المعرض بين الجملة، واضح التفصيل بديع الإشارة غريب اللمحة، ناصح البيان، ظاهر الحدود، جيد الرصف ممكن المعنى، واسع الحيلة في التصريف ثم لا ترى فيه إجالة ولا استكراه، ولا ترى استعانة من عجز ولا توسعاً من ضيق، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه وغيرها من سمو المعنى، وفصل الخطاب، وحكمة القول، ودنو المأخذ وإصابة السر(٦٣).

والرسولﷺ نبي ورسول، يصوغ الحقائق الإنسانية، ويقررها شريعة وعاطفة وعملًا، ويتعمق النفس البشرية، ويرسم لها ما يبصرها، ثم هو متصل بمصدر الطبيعة الأزلي، لا يستملى منها وإنما يملى فيها، هو إذن طبيب البشرية أينما كانت، وأسلوبه يتنزل بردًا وسلامًا عليها، متى كانت وهو بهذا المفهوم أسلوب عصري، لأن الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة كما يقول العقاد هو أسلوب عصري في جميع العصور(٦٤). وأن ثقافة النبيﷺ مرجعها إلى ربّه ووحيه، وكفى بالقرآن دليلاً على أنه النبي الأمي الذي علّم البشرية. ويقول الأستاذ الرافعي: ولأمر ما كان كلام النبوة خالدًا، كأنه قيل في كل عصر لأهله وقبيلته، وكأن هذا الزمان إنما هو شاهد يجيء بالبينة على صحة تأويله(٦٥).

فصاحة الرسولﷺ ونسبه

أولاً: النسب والنشأة وأثرهما في الفصاحة والبلاغة النبوية فأمر لا يحتاج الى بيان، لم يختلط عليه الصلاة والسلام طول حياته بقوم خارجين عن رفعة البيان، فأتيحت له نشأة متميزة هيأت جواً ملائماً لنمو الموهبة. وقد قالﷺ: ''إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من اسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم(٦٦)، فأنا خيار من خيار من خيار(٦٧).

فهو ''المصطفى'' من قوم كلهم سادة قادة في الأريحية والكرم، واللسان والبيان، ولم يعلم أن واحداً من آبائهﷺ كان عيياً أو منقوص البيان. بل أنّ النّبيﷺ قد أطلق القول: ''أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر(٦٨)، وهو قول أرسله في العرب جميعاً، والفصاحة أكبر أمرهم والكلام سيد عملهم، فما دخلتهم له حمية، ولا تعاظمهم ولا ردّوه، ولا غضّوا منه، ولا وجدوا إلى نقضه سبيلا، ولا أصابوا للتهمة عليه طريقا، ولو كان فيهم أفصح منه لعارضوه به ولأقاموه في وزنه ثم لجعلوا من ذلك سبباً لنقض دعوته والإنكار عليه، غير أنهم عرفوا منه الفصاحة على أتم وجوهها وأشرف مذاهبها، ورأوا له في أسبابها ما ليس لهم، ولا يتعلقون به ولا يطيقونه وأدنى ذلك أن يكون قوي العارضة، مستجيب الفطرة، ملهم الضمير متصرف اللسان، يضعه من الكلام حيث شاء، لا يستكره في بيانه معنى، ولا يندّ في لسانه لفظ، ولا تغيب عنه لغة ولا تضرب له عبارة، ولا ينقطع له نظم ولا يشوبه تكلف ولا يشق عليه منزع، ولا يعتريه ما يعتري البلغاء في وجوه الخطاب وفنون الأقاويل من التخاذل وتراجع الطبع، وتفاوت ما بين العبارة والعبارة، والتكثر لمعنى بما ليس منه والتحيف لمعنى آخر بالنقص فيه، والعلو في موضع والنزول في موضع، إلى أمثال أخرى لا نرى العرب قد أقرّوا له بالفصاحة إلا وقد نزهﷺ عن جميعها وسلّم كلامه منها وخرج سبكه خالصاً لا شوب فيه، وكأنّما وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه،

ولو هم اطلعوا منه على غير ذلك أو ترامى كلامه إلى شيءٍ من أصداد هذه المعاني، لقد كانوا أطالوا في ردّ فصاحته وعرّضوا، ولكان ذلك مأثوراً عنهم، دائراً على ألسنتهم، مستفيضاً في مجالسهم ومناقلاتهم، ثمّ لردّوا عليه القرآن ولم يستطع أن يقول في تلاوته وتبيينه، ثمّ لكان فيهم من يعيب عليه في مجلس حديثه ومحاضرة أصحابه، أو ينتقص أمره ويغضّ من شأنه، فمن القوم خلص لا يستجيبون إلا لأفصحهم لساناً، وأبينهم بياناً، وخاصة في أول النبوة وحدثان العهد بالرسالة، فلمّا لم يعترضه شيءٍ من ذلك، وهو لم يخرج من بين أظهرهم، ولا جلا عن أرضهم ورأينا هذا الأمر قد استمرّ على سنّته واطرد إلى غايته، وقام عليه الشاهد القاطع من أخبارهم كما ستعرفه، علمنا قطعاً وضرورة أنهﷺ كان أفصح العرب، وافياً بغيره، كافياً من سواه، وأنه في ذلك آية من آيات الله لأولئك القوم(٦٩)، وكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(٧٠). وأن محمداﷺ كان هو أفصح العرب، وكان له في هذه الفضيلة البيانية المقام الأول غير مزاحم، فذلك ما لا يمار بل لا يمتري فيه أحد ممن يعرف العربية، وقال الجاحظ: ''كان إذا احتاج إلى بلاغته كان أبلغ البلغاء وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء(٧١)''.

فصاحة الرسولﷺ وبيئته

ثانياً: هذه النشأة اللغوية النقية في أحضان البادية، وبين أفصح القبائل فكان مولده في بني هاشم، وأخواله في بني زهرة، ورضاعه في بني سعد بن بكر، ومنشؤه في قريش، ومتزوجه في بني أسد، لم يخرج عن هؤلاء في النشأة واللغة، ولقد كان في قريش وبني سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة، ولذا قالﷺ: ''نشأت في بني سعد بن بكر(٧٢) '' فكان له من اللسان العربي أفصحه وأبلغه بهذه النشأة البدوية القرشية الخالصة(٧٣)''.

فصاحة الرسولﷺ ونظرته الصائبة

ثالثاً: موهبتهﷺ التي تتمثل في فطرة صافية، ونفس مجتمعة فاضلة، مع صفاء الحس، ونفاذ البصيرة، واستقامة الأمر كله. ولقد أذكى هذه الموهبة دوام الفكر، وطول السكوت، وحب الخلوة التي كانت له أعظم مربٍّ، فقد صَفَّت قلبه من كل مشاغل هذا العالم، وفي الصحراء اتصلت أسرار الطبيعة بأعماق نفسه، وغمرته في قوة، فانطلقت شفتاه بهذه الحقائق الخالدة التي انتزعت من ''كارليل'' المفكر الإنجليزي المشهور صيحة الإعجاب التي يقول فيها: ''حقًّا إن أحاديث هذا الرجل قد صدرت مباشرة عن قلب الطبيعة ومن الطبيعي أن تجتذب أفئدة بني البشر فيستمعوا إليها ويجب أن يستمعوا إليها أكثر مما يستمعون إلى غيرها، فكل ما عداها هباء إذا قورن بها''(٧٤).

فصاحة الرسولﷺ وصلته بالإلهام

رابعاً: الإلهام والتعليم والتلقي من الله تعالى، ذلك أن الله تعالى ابتعثه في العرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم ثم هم مختلفون فصاحة وبيانًا ومناهج قول إلى ما كان من اشتراك اللغات وانفرادها، وتخصيص بعض القبائل بأوضاع وصيغ مقصورة عليهم، فكان من تمام البلاغة وكمال الحجة أن يخاطب كل قوم بلحنهم، وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابًا، وأشدهم لفظًا وأبينهم عبارة، ومثل هذا لا يكون إلا عن تعليم وتلقين أو رواية عن أحياء العرب حتى يفلى لغاتهم ويتبع مناطقهم. وهذا رأي مشتهر عن الأقدمين كمجد الدين بن الأثير، والقاضي عياض، والسيوطي وغيرهم، من قول الرسولﷺ نفسه ''انّ لغة إسماعيل قد درست فأتاني بها جبريل فحفظنيها(٧٥)''، وقال أبو بكر لرسول اللهﷺ: لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك

فمن أدّبك (أي علمك)؟ فقال: ''أدّبني ربّي فأحسن تأديبي(٧٦)''، وقوله مثل ذلك لعليّ أيضاً، ثم قوله: ''أنا أفصح العرب(٧٧) وربيت في بني سعد أي خير من كفل في صغره وأرضع وربي حتى نشأ وكان مسترضعا في بني سعد بن بكر(٧٨)'' وما كان من هذا المعنى لأنه يستحيل أن يكون مع أحد من ذلك الذي بيناه ما خصَّ الله به نبيه إذ لا استحالة راجعة إلى الطبع والجبلة وخلق الفطرة، منها لا تتغير في الناس إلا أن يخرق الله به العادة على وجه المعجزة ليقضي أمراً من أمره، وأنَّ لامريءٍ بذلك من العرب غير النبيﷺ. وسواء كان مصدر السنة وليد تفكير ورؤية ومشاورة كشئون الحرب والسلام أم كان وحى الخاطر وإرسال البديهة كالعديد من شئون الحياة، أم كان بعد تلبث يسير انتظارا للوحي، وهذا المتبادر من قولهﷺ: ''أوتيت الكتاب ومثله معه(٧٩)'' قد تكررت الحكمة بمعنى السنة مقرونة بالكتاب في القرآن الكريم: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا(٨٠).

خامساً: قلبه النقي التقي، فهو قلب متغلغل في الطهر متصل بالله عزّوجلّ لذا فهو ينبض بأشرف المعاني وأزكى وأطهر الفكر يبعثها إلى ذلك اللسان الفصيح ليترجمها كلاماً باعثاً للحياة في النفوس.

سادساً: عقل ذكي متوقد وذهن حاد وبصيرة نفاذة إلى بواطن الأمور فلا يمر على خاطره إلا معنى جليل عظيم عار من الخطأ مترفع عن سفاسف الأفكار.

سابعاً: التأييد الإلهي المحكم، وهذا التأييد يعصمه من العيوب لذا تجد كلامه في أعلى وأرفع رتب البيان.

فصاحة الرسولﷺ وتأثرها بالقرآن الكريم

ثامناً: أمر آخر يلحق بسابقه وهو تأثر النبيﷺ بالقرآن الكريم في بيانه المعجز، وهذا التأثر في الواقع خط مشترك بين الأدباء والشعراء العرب إلا أنه أبين وأظهر في الرسولﷺ لأنه أبلغ الناس، فهو أقدرهم على فهم الوجوه البلاغية في أسرار الإعجاز الإلهي، ثم إن القرآن معجزته التي نزلت عليه يرتله ترتيلا، متعبدًا متأثرًا يزن كل آية بميزان دقيق، بحيث يشرق له من الدلائل وآيات الإعجاز وما يهز وجدانه، ويصير خشوعه حين يتلوه، وحين يسمعه من سواه. لسان صقلته روائع البيان القرآني فصار ينطق بأنصع الألفاظ وأرشق التراكيب وأحكم المعاني وكيف لا وهو لسان يدارس جبريل عليه السلام آيات التنزيل. وقال رسول اللهﷺ في يوم دجن: كيف ترون بواسقها؟ قالوا: ما أحسنها، وأشد تراكمها، قال كيف ترون قواعدها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد تمكنها، قال: كيف ترون جونها؟ قالوا: ما أحسنه وأشد سواده، قال: كيف ترون رحاها استدارت؟ قالوا نعم ما أحسنها وأشد استدارتها، قال: كيف ترون برقها أخفيًّا أم وميضًا أم يشق شقا؟ قالوا: بل يشق شقا. قال: الحياء، فقال رجل: يا رسول الله: ما أفصحك ما رأينا الذي هو أعرب منك. قال: حق لي، فإنما أنزل القرآن عليَّ بلسان عربي مبين(٨١).وعن عبد الله بن عمر قال: قال النبيﷺ أنا محمد النبي الأمي، لا نبي بعدي، أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة، وحملة العرش(٨٢).وإذا كان فن العبقريين هو أساس الكلام الإنساني لما خصوا به من هذه التهيئة (تهيئة الجهاز الصبي للاتصال بعالم ما فوق الطبيعة) فإن فنهﷺ يكون ولا جرم من باب الأكبر، مما هو أكبر في إلهام الإنسانية كلها. وهذا حق فالنبي الكريم مع ربه دائمًا، والوحي متصل بين السماء والأرض، والنبع المشرق يتفجر دائمًا بالبيان العظيم. فإذا أضيف إلى ذلك أن نبيناﷺ كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة وإذا تكلم لا يسرد سردًا، بل فصل ورتل، وأبان وأحكم، بحيث تخرج كل لفظة وعليها طابعه من النفس،

علمنا أن هذا المنطق وذاك البيان النبوي لا يشاركه منطق، ولا يساميه بيان(٨٣).

خلاصة الكلام

يتوصل ويثبت من خلال المقالة أنّ كلام رسول اللهﷺ ينفرد بعدم الهبوط والإسقاف، فكل كلامه فصيح وبليغ يراعي فيه مقتضى الحال، بينما يتردد كلام الآخرين من فصحاء وبلغاء العرب بين الارتفاع والهبوط أو الخطأ أحياناً أخرى. واهتم الرسولﷺ بالعوامل والقيم النفسية والشعورية، والإستفادة من إرهاف الحق عند العرب وتأثرهم بسحر البيان بغرس القيم الإسلامية والأفكار المحبة في نفوس الناس.إن الرسولﷺ كان يوظف ظروف السامع فما من ظرف يناسبه بيان الاّ وبينه عليه الصلاة والسلام. ترك الرسولﷺ كمّاً كبيراً من الأحاديث ألتي أرى أنها كانت وما زالت وتبقى معيناً ثراء، لا ينضب لفرسان البلاغة كما هو العلماء والباحثون في الشرع الشريف. يهتم الرسولﷺ بتكوين الشخصية الإسلامية الكاملة المهذبة لأجل غرس القيم الإسلامية العليا في النفوس والعناية بتهذيب الأخلاق والتحلي بمكارمها والتخلي عن رذائلها. كلام النبيﷺ تزيد شهادة الذوق العربي السليم فالقارئ لأحاديث النبيﷺ لها حلاوة في نفسه ونوراً في قلبه وانشراحاً في صدره، ومهما زدتّ من قرأت الأحاديث وأمعنت النظر فيها فلن يتطرق إلى ذهنك ذرة من الملل.

الهوامش

(١) الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين، ٢٦١/٨، ١٧/٢، ط: ٥، تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٦٩م، دار العلم للملايين، بيروت.

(٢) هم بنو سعد بن بكر، وكانوا من العرب الضاربة حول مكة، وكان أطفال القرشيين يتبدون ويرسلون فيهم وفي غيرهم يطلبون بذلك نشأة الفصاحة. ولا يزال كبراء مكة إلى اليوم يرسلون أحداثهم إلى أماكن هذه القبائل من البادية وخاصة إلى قبيلة عدوان في شرق الطائف وهى قريبة من بني سعد، وإنما يطلبون بذلك إحكام اللهجة العربية، وصحة النشأة، وحرية النزعة، وما إليها مما هو الأصل في هذه العادة يتوارثونها في التربية العربية من قديم. والرّواة جميعاً على أن بني سعد بن بكر خصّوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان. (الرافعى، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٩٦-١٩٧، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، دارالكتاب العربي، بيروت، لبنان).

(٣) الأحزاب:٤٥، ٤٦.

(٤) الإسراء:٨٨.

(٥) العسكري، أبو هلال حسن بن عبد الله، الصناعتين الكتابة والشعر، ٦/١، تحقيق على محمد البيضاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، المكتبة العصرية، بيروت.

(٦) الطبراني، سليمان بن أحمد، مسند الشاميين، ١٣٧/٢، رقم الحديث: ١٠٦١، ط: ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٧) البوطى، سعيد رمضان، في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، ص ٤٧، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(٨) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والبتين، ١٧/٢، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، لبنان.

(٩) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة والأدب،١٦٥/١، ط:١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، تحقيق: فؤاد علي

منصور، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٠) الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية، ٣٠/١، سنة النشر: ١٤٠٠هـ، دار المعرفة، بيروت.

(١١) بخاري. الصحيح، كتاب المناقب، باب صفة النبيﷺ، ١٣٠٧/٣، رقم الحديث: ٣٣٧٥، ط: ٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

(١٢) الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، ٦٠٠/٥، رقم الحديث: ٣٦٣٩، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٣) السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود، السنن، باب الهدي في الكلام، ٢٦١/٤ ، رقم الحديث: ٤٨٣٩، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

(١٤). بخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب صفة النبيﷺ، ١٣٠٧/٣، رقم الحديث: ٣٣٧٤.

(١٥) النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ١١/٣، رقم الحديث: ٤٢٧٤، ط: ١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٦) الشافعي، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ١٢/٤، ١٩٩٥م، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت.

(١٧) الترمذي، محمد بن عيسى، الشمائل المحمدية، ١٨٤/١-١٨٥، رقم الحديث: ٢٢٥.

(١٨) الترمذي، الشمائل المحمدية، باب كيف كان كلام رسول اللهﷺ، ١٨٤/١-١٨٥، رقم الحديث: ٢٢٦، ط:١، ١٤١٢هـ، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

(١٩) مسلم، الصحيح، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٥٩٢/٢، رقم الحديث: ٨٦٧ ، تحقيق: محمد فؤاد عبدا لباقي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

(٢٠) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء، ٢٣٢/٤، ط: ٤، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢١) الحنظلي، إسحاق بن إبراهيم، مسند اسحاق بن راهويه، ٣٦٥/١، رقم الحديث: ٣٧٤، ط:١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م،تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.

(٢٢) العقاد، عباس محمود، عبقرية محمدﷺ، ص ٧١، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة.

(٢٣) ابن الجوزي، الوفاء بأحوال المصطفى، ٤٠٦/٢، تحقيق: محمد زهري النجار، المكتبة السعيدية، الرياض.

(٢٤) الهيثمي، علي بن ابي بكر، مجمع الزوائد، كتاب الاطعمة، ٢٧٧،١٤٠٧/٥هـ، دار الريان للتراث دار الكتاب القاهرة، بيروت.

(٢٥) الطبراني، المعجم الكبير، ١٦٩/١٧، رقم الحديث: ٤٣٧، ط: ٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، تحقيق حميدي عبد المجيد، مكتبة الزهراء، الموصل.

(٢٦) الزيلعي، عبد الله بن يوسف، نصب الراية، ٤٦١/٢، تحقيق محمد يوسف البنوري، ١٣٥٧هـ، دار الحديث مصر.

(٢٧) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ٢١٦-٢١٧. تفسير هذا الكتاب على نسق ألفاظه: الأقيال جمع قيل، وهو الملك من ملوك حمير وحضرموت. والعباهلة المقرون على ملكهم فلم يزالو عنه. والأروع الذين يرعون بالهيبة والجمال. والمشابيب جمع مشبوب، وهو الجميل الزاهر اللون، والتيعة: أربعون شاة. تطلق على أدنى ما تجب فيه

الصدقة من الحيوان والمقورة الألياط: أي المسترخية الجلود. والضناك: الموثقة الخلق السمينة، يريد أن شاة الصدقة لا تكون من المهازيل ولا من الكرائم، بل تكون وسطاً وهو المراد بقوله وانطوا الثبجة أي أعطوا بلغتهم، اذ يبدلون العين نوناً، والثبجة: الوسط، ومنه ثبج البحر. والسيوب جمع سيب، وهو العطية، والمراد به الركاز وهو دفين الجاهلية ومم بكر، ومم ثيب: أي من بكر، ومن ثيب، وهي لغتهم في إبدال النون ميما الصفح،: الضرب والاستيفاص: النفي والتغريب.والأضاميم: الحجارة الصغار، والتوصيم: الفتره والتواني. ويترفل: أي يترأس، وتروى في هذ الكتاب بزيادات غريبة.

(٢٨) بخاري، الصحيح، كتاب الدعوات، باب قول النبيﷺ ربّنا آتنا في الدنيا حسنة. ٢٣٤٧/٥، رقم: ٦٠٢٦.

(٢٩) القشيري، مسلم بن الحجاج، الصحيح، ٣٧١/١، رقم الحديث: ٥٢٣، تحقيق: محمد فؤاد عبدا لباقي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

(٣٠) الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد، شرح الطيبي على مشكوة المصابيح المسمّى بالكاشف عن حقائق السّنن، ٣٥٦/١٠، ط: ١، ١٤١٧هـ.١٩٩٧م، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض.

(٣١) بخاري، الصحيح، كتاب التعبير، باب ثياب الحرير في المنام، ٢٥٧٣/٦، رقم الحديث: ٦٦١١.

(٣٢) الأزدي، معمر بن راشد، الجامع، ١١٤/١١، رقم الحديث: ٦٦١١، ط:٢، ١٤٠٣هـ، تحقيق: حبيب الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٣٣) ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، ٢٣١/٢، رقم الحديث: ٤٨٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط:٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣٤) البخاري، الصحيح، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: وهو ألد الخصام، ٨٦٧/٢، رقم : ٢٣٢٥.

(٣٥) أبو داود، السنن، ١٧٨/١، رقم الحديث: ٦٦٤.

(٣٦) الزمخشري. الفائق في غريب الحديث والأثر، باب الباء مع العين، ١١٩/١، ط:٢، تحقيق: على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت.

(٣٧) ص: ٨٦.

(٣٨) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح المسلم، ٢٢٠/١٦، ط: ٢، ١٣٩٢هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٣٩) الطيالسي، سليمان بن داود، المسند، ٣٠٣/١، رقم الحديث: ٢٣١، دار المعرفة، بيروت.

(٤٠) . البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على القتال وقوله تعالى: حرّض المؤمنين على القتال، ١٠٤٣/٣، رقم الحديث: ٢٦٧.

(٤١) . ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد، ٤٨٩/٦، ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤن الإدارية، المغرب.

(٤٢) . البخاري، الصحيح، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، ٨٤٨/٢، رقم الحديث: ٢٢٧٧.

(٤٣) . الدكتور الحبر يوسف نور الدائم (استاذ اللغة العربية بكلية الآداب)، مقالة على عنوان: من سمات الحديث النبوي، السبت ١٤ جمادي الثانية، ١٤٢٥هـ-٣١يوليو ٢٠٠٤م، جامعة الخرطوم.

(٤٤) . ق: ١٨.

(٤٥) النيشاءبوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ٤٤٧/٢، رقم الحديث: ٢٥٤٨، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤٦) . بخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ، ٢٣٧٧/٥، رقم الحديث: ٦١١٢.

(٤٧) المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ٤٣/١، تحقيق: د عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

(٤٨) الزيات، دفاع عن البلاغة، ١٣٠، ط: ٢، ١٩٦٧، عالم الكتب، القاهرة.

(٤٩) بخاري، الصحيح، كتاب اللباس وقول الله تعالى: قل من حرّم زينة الله، ، باب ارداف الرجل خلف الرجل، ٢٢٢٤/٥، رقم الحديث: ٥٦٢٢.

(٥٠) همداني، الدكتور كفايت الله، المحاسن الأدبية في أدعية النبوية، ص: ٣٠٦، بحث لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة بنجاب لاهور، باكستان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٥١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الخصائص الكبرى، ٢٨٤/٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الكتب العلميه، بيروت.

(٥٢) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، السنن، ٣٢٠/٢، رقم الحديث: ٢٥٣٣، ط:١، ١٤٠٧هـ، تحقيق: فواز احمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٥٣) مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ١٠٥٥/٢، رقم الحديث: ١٤٣٢.

(٥٤) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٣٣٠.

(٥٥) أبو يعلى، أحمد بن علي، المسند، ٤٢٤/٨، ط:١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، دار المأمون للتراث، دمشق.

(٥٦) االسجستاني، سليمان بن أشعث، السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في التشدق في الكلام، ٣٠٢/٤.

(٥٧) سيد نوفل، الدكتور، البلاغة العربية في دور نشأتها، ص ٥٨—٦٠، ط:٣، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م، دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٥٨) العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، تلخيص الحبير، ٢٧/٤-٢٨، رقم الحديث: ١٧٠٨، تحقيق: السيد عبد الله هاشم، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤، المدينة المنورة.

(٥٩) البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ٢٢٤/٥، رقم الحديث: ٥٦٧٢.

(٦٠) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، ٥٦/١، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، تحقيق: فؤاد علي منصور، دارلكتب العلمية، بيروت.

(٦١) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف، ٢٧٤/٢، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦٢) العقاد، عبقرية محمدﷺ، ص ٢٩١، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

(٦٣) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٣٢٤.

(٦٤) العقاد، عباس محمود، عبقرية محمدﷺ، ص: ٧٨.

(٦٥) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٧٣.

(٦٦) الشيباني، أحمد بن حنبل، المسند، ١٠٧/٤، رقم الحديث: ١٧٠٢٨، بدون الطبع، مؤسسة قرطبة، مصر.

(٦٧) العسقلاني، احمد بن حجر، الأمالي المطلقة، ٦٨/١، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد اسماعيل السلفي، ط: ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، المكتب الإسلامي، بيرورت.

(٦٨) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، ١٠٧/١، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.

(٦٩) الرافعي، اعجاز القرآن البلاغة النبوية، ص: ١٩٦-١٩٧.

(٧٠) البقرة: ١٨٧.

(٧١) الجاحظ، البيان والتبين، ٥٧٥/١، تحقيق: فوزي عطوي، دارصعب، بيروت.

(٧٢) العسقلاني، تلخيص الحبير، ٦/٤، رقم الحديث: ١٦٥٨.

(٧٣) العقاد، عباس محمود، عبقرية محمدﷺ ، ص ٢٢.

(٧٤) اتيين دينيه (سليمان بن ابراهيم)، محمد رسول اللهﷺ ، ترجمة دكتور عبد الحليم محمود ص ١٠٦، ط:٣، دار المعارف، القاهرة.

(٧٥) الهندي، كنزالعمال، ٩/٢، رقم الحديث: ٢٩٦٣، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ط:١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٧٦) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير، ٢٢٥/١، ط:١، ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

(٧٧) العراقي، أبو الفضل، المغني عن حمل الأسفار، ٦٣٥/١، رقم الحديث: ٢٣٨٦، ط: ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق أشرف مقصود، مكتبة طبرية، الرياض.

(٧٨) الجزري، أبوالسعادات مبارك بن محمد، النهاية في الأثر، ١٩٢/٤، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

(٧٩) أحمد بن حنبل، المسند، ١٣٠/٤، رقم الحديث: ١٧٢١٣.

(٨٠) النساء: ١١٣.

(٨١) الهندي، كنزالعمال، ٦٩/٦، رقم الحديث: ١٥٢٤٧، ط:١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٧٢) الهندي، علاء الدين علي المتقي، كنز العمال، ١٠٨/١، رقم الحديث: ٩٦١.

(٧٣) ناصف، منصور علي، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، ٢٣٦/٣، ط:٣، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م، دار احياء التراث العربي، بيروت.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆